
7
جوهرة
مغامرات عجيبة جدا
البريق الغامض
تأليف: علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



جوهرة

البريق الغامض

قال ريحان : أن هناك حيوان خرافي يسكن بطن الجبل ، وعندما يخرج من كهفه تلمع عيناه **بهذا البريق** انه يؤكد ذلك ويقول أن هناك شهود عيان قد أكدوا رؤيتهم لهذا الوحش وتعرضوا له ثم نجوا منه بأعجوبة.

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٢ شارع منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية
ت : ٤٩٠١٩١٤ ـ فاكس : ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

سلسلة

مغامرات عجيبة جداً



جوهرة البريق الغامض

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ-٢٠٠١م

رقم الإيداع القانونى

١٩٩٦/٥٩٤٤

الترقيم الدولي : 6- 104 -253 -977

دار الدعــوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الاسكندرية
☎ ٣٩٠١٩١٤ ـ ٣٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جوهـــرة
البريق الغامض

تألف/ علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

«مغامرات عجيبة جداً»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعي للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويري نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

«يارعو» هكذا كانوا يطلقون عليه منذ القدم، وفى فجـر التاريخ كانوا يسمـونه «حابي» لقد ظل يعـبد حتى آخـر عصور الوثنية ، وفى التـوراة يطلق عليه «بي أور» إنه البـحر العـظيم . . . وفى القرآن قـال تعالى ﴿فألقيـه فى اليَمِّ ولا تخافي﴾ وسماه العرب «النيل» أو « نيـل مـصـر » هذه إجـابة سـؤالك يا بنى. . . فهل تريد المزيد؟

نظر مؤمن للحكيم العجـوز الذى قد شد الرحال إليـه من القـاهرة؛ حـتى يعـرف منه كل المعلومـات الخـاصة برحلتـه إلى بلاد مـاتحت النهر. . . فلقـد عرف أن جوهرة التاج الجديدة تقبع هناك. لقد قطع رحلة شـاقة؛ حـتى وصل إلى هذا الحكيم فى بيـته الملئ بالكتب والمخطوطات العريقة.

وقال مؤمن للحكيم :

ـ سيـدي. . .أريد أن أعـرف الكثـير عن هذا النهر. . . .من أين ينبع ؟وما حكايته؟

قال الحكيم :

ـ قبل حوالى سنة ٤٥٧ قبل الميلاد . . .لقد صعد الحكيم «هيرودوت» حتى بلغ الشلال الأول ، وزعم أن منابع النيل تقع فى الغرب البعيد حيث بحيرة تشاد .

وقال هيرودت:

«حدثنى الكهنة بأن النهر فى عصر الملك مويريس كان يروى مصر ابتداء من منف، كما بلغ ارتفاعه ثمانية أذرع فحسب ، ولم تكن قد مضت على موت مويريس هذا تسعمائة عام عندما سمعت هذا القول من الكهنة »

وقال هيرودوت أيضا :

«لا لم أستطيع أن أقف على أى معلومات عن طبيعة النهر، لا من الكهنة ، ولا من أحد غيرهم ، لقد كنت شديد الحرص على أن أعرف منهم لماذا يأتى النهر فى فيضان مرة كل مائة يوم تبدأ من بداية الصيف؟! ولم استطع أن أعرف من المصريين أى معلومات بشأن مسألة واحدة من هذه المسائل ،حين تساءلت عن طبيعة النيل هذه التى يخالف بها سائر أنهار العالم . يفيض فى الصيف ، ويغيض فى الشتاء أى يقل ماؤه» .

يا بنى . . . .إن هذا النيل الذى يجرى فى أرض مصر عند نهايته قد حير الشعوب كثيراً، ولقد كثرت الظنون والاجتهادات حول منبعه ، فمنهم من قال :

«إنه ينبع من عين كبيرة فى أعماق القارة السوداء،

ومنهم من أكد أن هناك جبالاً من الجليد في أعماق القارة تسيل إلى ماء ينساب فى النهر ، وأن بعضهم قد قال إن النيل ينبع من بحيرة تقع غربى موريتانيا»

فدهش مؤمن من كلام الحكيم وقال:

ـ موريتانيا ؟!!!

فقال الحكيم معقبا :

ـ كان هذا اعتقادهم يا ولدي. . . لقد قالوا أيضاً إنه بعد ذلك يجرى مسيرة عدة أيام تحت الأرض إلى بحيرة أخرى فى موريتانيا القيصرية، ثم يجرى تحت الأرض مدة أخرى مسيرة عشرين يوماً حتى يصل إلى الحدود الفاصلة بين إفريقية والحبشة ، ثم يشق طريقه فى أرض الحبشة إلى شمال القارة.

شعر مؤمن بالحيرة وسط هذه الآراء المتضاربة عن حقيقة النيل وقال للحكيم :

ـ سيدي. . . لقد تعودت في مغامراتى على الألغاز والمتاعب . . . كما تعودت ألا أصل إلى هدفى وأنا جالس مكاني. . . تعلمت أن أخوض غمار الحياة وأشق الصعب وأتمرغ فى الأحوال السهلة والصعبة ، وأقبض على هدفى بيدي. . . . حقاً كم هو مفيدٌ كلامك ، ولكنى الآن عليَّ أن أرحل . . . سأخرج من بيتك هذا، وقبل أن يجن الليل سأكون سائرا بحذاء النهر العظيم الذى لا أدرى أين بدايته . . . . فلتدعُ لى بالخير يا سيدي.

فقال له الحكيم :

ـ انتظر يا ولدى . . . قل لى أولاً . . . . لماذا تنوى السير مع النيل ؟

فقال مؤمن وهو يستعد لمغادرة البيت :

ـ سيدي. . . ! إنها قصة طويلة . . ولكن

موجـزها . . . أننى أبحث عن جـوهرة بعينهـا . . هكذا الأمـر بعد أن عـثرت على تاج قـديم ليس به جواهره . . وكـلما عثـرت على جوهرة بعـد العناء والتـعب، أجدنى لا أهدأ حـتى أعثـر على غيـرها . . . . الإغـرب من ذلك يا سـيدى . . أن جـواهر هذا التاج ميعثرة . . . . نعم . . . . مرةً . . . أذهب إلى بلاد الصـين ، ومـرة فى أدغـــال البـــرازيل ، صـــدقنى . . ومـرة فى القطب البـارد حـتى كـدت أتجمـد، ومرة فى أعماق تاريخ الفـراعنة، ومرة فى ممالك الجن والعـفـاريت . واليوم سـأتجـه إلى قلب إفريقية .

ضحك الحكيم وقال له :

ـ إذن كن حــــذراً يا ولدى . . . . الطـريق جِدُّ مخيف. . . لابد أنك ستستقل مركبة شراعية. . .

وقف الحكيم كثيـراً عن الكلام؛ وكأن على رأسه الطير ثم أخذ يقول لنفسه بصوت مسموع :

نعم . . لا . . لا أظن . . . . هه . . . أتعتـقد ذلك ؟! . . إنها مغامرة . . ولكن . . ولكن . .

اندفع مؤمن ينبهه ويسأله :

ـ سـيـدى . . . سـيـدى . . . مـاذا بك يا سيدي؟. . . هل هناك ما يشغلك ؟!

نظر الشيخ فى عـينىّ مؤمن نظرة متفـحصة، ثم نظر للسـيف الذى يحـمله . . ثم مـد يده كـأنه يصافحه . . . فلما مـد مؤمن يده . . . قبض عليها بشدة كى يثنيها فقاومه مؤمن مقاومةً شديدةً، فابتسم الحكيم وتركها ثم قال :

ـ لا يخشى عـليها مـعك . . . . نعم أنت تصلح لهذه المهمة . . . . سيكون لك أجرٌ عظيم

تعجَّبَ مؤمن من كلام الحكيم الشيخ وسأله :

- سيدى .... من هى التى لا يخشى عليها معى ؟ .. وأى مهمة تقصد يا تري؟!

فقال له الحكيم :

- إنها قصة طويلة يا بنى، ولكن دعنى أسألك؛ هل يمكنك اصطحاب فتاة تصغرك فى السن إلى بلاد السودان. حيث تقيم أسرتها؟

لم يكن يتوقع مؤمن ذلك .. فلقد تعود فى كل مغامراته على أن يكون منفرداً، وقد يصاحبه شخص ما طوال المغامرة، ولم يحدث من قبل أن كانت معه صبية صغيرة.. وفكر في الاعتذار للحكيم ولكنه سرعان ما تراجع وقال في نفسه ليس من المروءة أن يتخلى المسلم عمن يحتاج إليه وكذلك كم من الأجر والثواب عند الله مقابل هذه المهمة

الصعبة ثم قال :

ـ سيدى . . . هناك أسئلة كثيرة تدور بخلدى الآن . . . . فقاطعه الحكيم قائلا :

ـ أعرفها . . . تسأل من هي؟ ولماذا تريد الذهاب للسودان؟ وهل ستتحمل معك الرحلة وأخطارها أم لا؟ ولماذا هى هنا من الأساس؟

أومأ مؤمن برأسه علامة الإيجاب .

فقال الحكيم :

ـ يا بني . . . هذه الفتاة عمرها الآن عشر سنوات، ولكنها ذكية قوية البنية سمراء البشرة مثل أهلها . . . لقد انتشلتها منذ خمسة أعوام من ماء النيل ساعة الفيضان ، وحسبت أنها كانت تلعب على البر، ووقعت فى الماء ثم تعلقت بجذع شجرة يطفو على سطحه ، ولكنى عرفت منها رغم صغر

سنها ومن حجاب كان مربوطاً على رقبتها أنها تركب النهـر منذ عدة أيـام، ولم أعرف سـبب ذلك. وأن بلدها السـودان العـميق فى إحـدى قـبـائل غـرب النهـر... ولقد تحـينت الفـرصة دائمـا كى أعيـدها لأهلها... وهذه أول مرة أعثر فيها على إنسان ينوى الذهاب إلى هناك... هذه كل الحكاية... ماذا قلت إذن؟

فقال مؤمن:

ـ لا شك يا سيدى أنها الآن قد أحبتك ويعز عليها فراقك.... وهذا أمر مؤلم يا سيدي.

فضحك الحكيم وقال:

ـ اعلم يا بنى أنهـا لم تفتأ تذكـر أمها حـتى يومنا هذا... ثم إننى كنت أذكّرها دائما بأنها سترحل عنى يوماً ما،وهي تعلم ذلك جيـداً... وتذكّر أن اسمها

من قطعتين نان ـ سي.

وحان وقت الرحيل وأحدثت لحظة الفراق بين الحكيم والفتاة أثرها فى نفسه... ولكنه فجأة وجد نفسه يسير نحو مرسى المراكب الشراعية وبيده حاجياته، وبجانبه تسير طفلة سمراء ذات ضفيرتين يَبدو على حركاتها النشاط والحيوية ، كانت سعيدة برحلة العودة إلى أمها ... تشاغله بكلمات لا يفهم معناها هى لغتها القديمة... ولكنها سرعان ما تعود مطيعة هادئة عندما تشعر أنه قد تضايق منها، وكانت فى كل فعلة تقول له:

ـ أهم شئ... ألا تغضب... فأنا لا أحب أن أراك حزيناً.

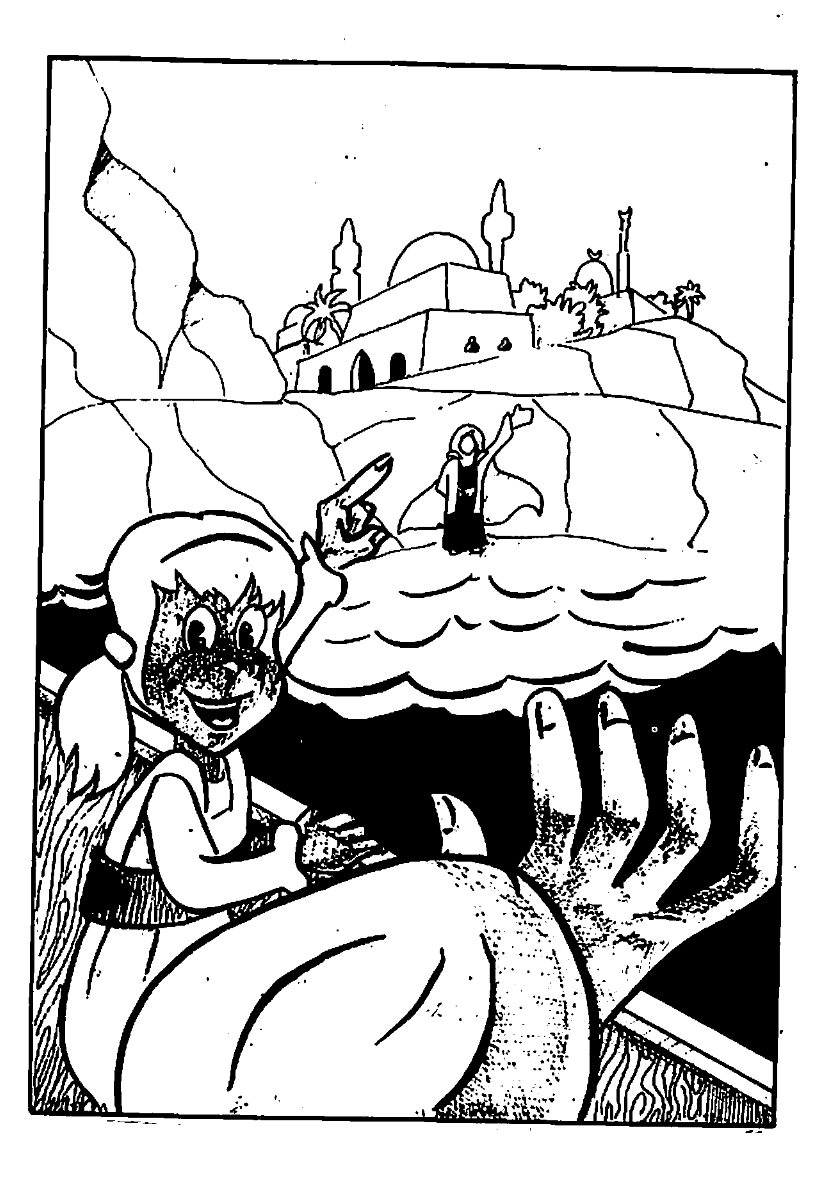
وكأنها بهذا تطيب خاطره؛ حتى لا يعدل عن قرار اصطحابها معه فى رحلته الطويلة.

واستقلا مركباً شـراعية حتى انتهت رحلتها ، ثم نزلا منهـا فى نهـاية المطاف يتـسامـران بالحـديث، والشـمس تنزع للمغـيب، والنهر يجـرى فى هدوء لطيف، والهـواء له عطر الخـضـرة، والماء يفـوح بالعذوبة، فكانا يتسلقان الصخور الملساء، ويتخطيان تجـمـعـات الأعـشـاب، وأرسل الليـل نذيرا بالتوقف. . . لقـد قطعا رحلة لا بأس بها، فابـتعدا عن أى معمورة متوقعة.

وقالت نانسى وقد استبد بها القلق:

ـ مـؤمن أنا وإن كنت أتسلح بالشـجاعـة إلا أن الخوف يغـلبنى . . . هذا النهر بقـدر ما هو جـميل بقدر ما هو مرعب.

كان مـؤمن بعين خبـيرة يسـتطلع المكان. فـأشار لنانسى وقال لها:



- أرى كوخاً صغيراً... مسيرة ثلث الساعة تقريباً... هيا قبل أن يهبط الظلام.

وسارا نحو الكوخ ، وكل منهما يتوقع أن يكون خاوياً، أو أنه كان مسكناً لصياد عابر، أو أنه مسكون بأحد وحوش النهر.

* * *

ولما اقتـربا لاحظا انبعاث أشـعة خفيـفة من بين قـصبـات الغـاب المصنوع منهـا الكوخ، وتنامى إلى سمعهما صوت ضعيف يترنم بأهازيج غريبة اللحن، وأدركا أن به شخصاً مـا، تقدم مؤمن وحده من باب الكوخ، وألقـى السـلام على صـاحب الكوخ، وإذا برجل أسمر تبدو عليه إمارات الشيخوخة، كان طويل القامـة ينحنى للأمام. تبرز عـروقه واضحـة، وكان مرتديا جلبـاباً أبيضَ، وبيده عصا قـديمةٌ، فرد الرجل السلام قائلا:

ـ وعليكم الســلام ورحـمـة الله وبركـاته... تفـضلا. تعجـب مؤمن أن الرجل قـد عرف أنهـما إثنان برغم أنه لم ير نانسي، فنـادى مؤمن عليـها، ودخلا إلى ركن من الكوخ عليه حـصيرة من القش فجلسا عليه، أمـا الرجل فقام وأحضر لهمـا قعباً من

اللبن فشربا، وشكرا له كرم ضيافته، وبعد ذلك سأله مؤمن:

- هل يمكن أن نبيت عندك حتى الصباح يا سيدي؟

دار حديث شيق بين مؤمن والرجل العجيب، ولكن مؤمن لم يشأ أن يسأله عن سبب عزلته وانفراده فى المكان المخيف.. . فما كان يهمه هو أن الرجل قد سمح لهما بالمبيت حتى الصباح ليتما الرحلة.

ولقد تمكن منهما النوم بعد ذلك.، ولم يوقظهما فى الصباح سوى لسعات الذباب وطنينه المزعج، ولما قاما لم يجدا الشيخ الأسمر فى الكوخ فبحثا عنه ، ولكنه اختفى تماماً من المكان ،فعادا للكوخ؛ وحملا متاعهما، ثم قررا ألا يضيعا من الوقت أكثر

من ذلك.

كان الأفق أمامهما ممتدا لا نهاية له... والطريق عبارة عن كتل من الصخور المتناثرة... فأخذا يتقافزان بحذو النيل، وفجأة توقفت نانسي وقالت وهى تشير ناحية صخور على شاطئ النهر:

- مؤمن... انظر إلى هذه الصخور.... الصخرة المستديرة التى تلمع لمعاناً مميزا بين الصخور.. هناك.

فقال مؤمن وقد عرف أين تنظر نانسي:

- إنها حقاً غريبة الشكل... ولكن أخالها تتحرك يا نانسى... أليس كذلك؟

لم يشعرا إلا وأقدامهما تحملهما ليتحققا من صحة الظنون التى تعاركت فى الصدور، فلما دَنَيَا منها أصابهما الذعُر... حتى أن مؤمن استلَّ سيفه

بسرعة، ولكنهما فى فم واحد صاحا بدهشة:

- إنه الشيخ العجوز؟!!!

لم تكن الصخرة السوداء اللامعة إلا رأس الشيخ صاحب الكوخ ،كان جالساً بين الصخور.

وقام متبسماً، فاقتربا منه وهشّا له، وقالت نانسي:

- أين كنت يا سيدي؟... لقد بحثنا عنك لنشكرك على صنيعك معنا.

وقال مؤمن:

- ما الذى جعلك تختفى هكذا بين الصخور؟!.. لقد حسبناك صخرة عجيبة من صخور النهر .

جذب الشيخ ذراع مؤمن وقاده إلى المكان الذى كان قابعاً فيه وقال:

ـ انظر... انظر لهـذه الصخـرة ... لقد نقـشت عليها كلماتٌ قـديمة..... قديمة قدم الزمان منذ أن كـان الفـراعنة يحكمـون الأرض... أيام الخـيـر والرخاء

تفحصها مؤمن وقال:

ـ سيدي... هل تعرف معنى هذه النقوش؟

انفـجـرت عيـناه بالدمع قـبل أن يتكلم ثم قـال بطريقة حزينة:

-هذه النقـوش يا ولـدى ذهبت بأرواح شـبـاب القرية التى تقفان على أرضها الآن.

نظر مؤمن ونانسى حـولهما يتـساءلان... « أين هذه القرية التى يتكلم عنها هذا الرجل؟»

قالت نانسى باستغراب شديد وهى تنظر حولها:

– قرية؟!أية قــرية يا سيـدي؟أنا لا أرى أى قرية هنا.

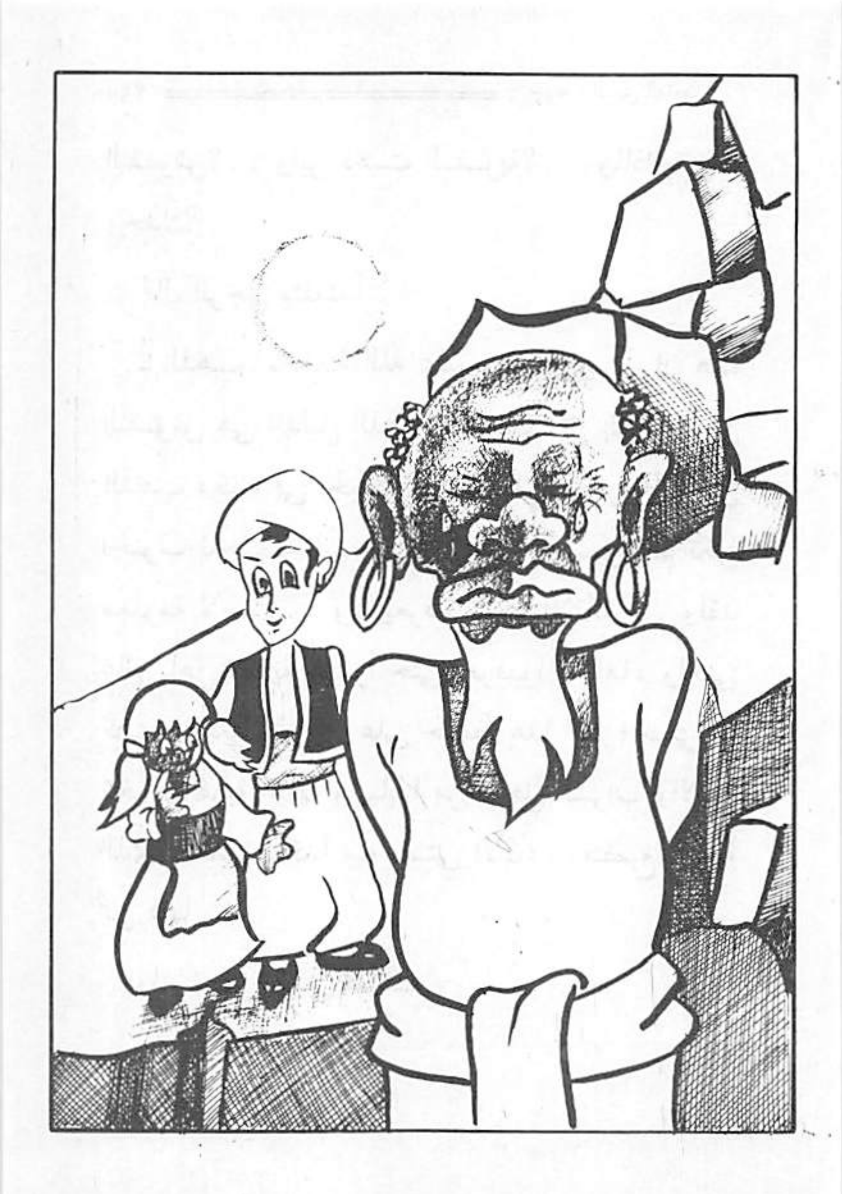
هذه الكلمات زادت من حدة بكاء الرجل الطويل المنحني، فبدا كأنه غصن شجرة قد أوشك الريح أن يقصمه.

فقال وهو يهن:

ـ كانت هنا. كانت... قريتى الكبيرة... شباب ورجال ونساء وأطفال... حضــارة عريقة وإن كانت بسيطة... قوة وجمــال وتجارة وصناعة... كنا هنا يا بنيتى ... كنا ثم ضعنا... لم يبق من القرية كلها إلا... أنا.

فلاحقه مؤمن قائلا:

ـ أنا لا أفـهم شـيـئــا يا سـيــدي... مــا هذه



النقــوش؟.. وأين ذهبت الـقــرية؟...ولماذا بقــيت وحدك؟

قال الرجل متلعثماً:

ـ الذهب...لعنة الله عليــه يا ولدى...إن هذه النقــوش هى الدليل الذى يرشد الســائل إلى كنز من الذهب مكانه فى الجبال المترامية على البحر المالح فى الجنوب ناحــيــة الســودان...هذه الرســوم لم تكن معلومة لأحد... ولا يعرف سرها إلا أنا... ولقد عانى أهل القرية كـثيراً حتى يعرفــوا معناها، ولكنى كنت شــديد الحرص على حــفظ هذا السر؛حــتى لا تخرج القرية أهلها وشبابها من أجل السراب والأمل الذى لست متأكداً منه حــتى الآن...فتضيع القرية بمن فيها.

ولم تصبر نانسى فقالت:

ـ وهل قلت لهم يا سيدي؟هل بحت لهم بالسر؟

طأطأ الرجل رأسه خجلا وقال:

ـ امرأة... امـرأة لعوب.. جـاءت إلى كوخى ذات يوم، وكنت شـاباً قـوياً فـأخـذت تراوغنى وتحـاورنى لتـوقـعنى فى حـبـالهـا، ولكنى آثرت الكتمان... فلم تفلح مـعى إلا بعد أن طبقت معى مَثلَ الخمر.

مطَّ مـؤمن شفـتيـه ودارت عينا نانسى ، فـأدرك الرجل عدم فهمها فقال:

ـ لقـد وقع شخص ذات يـوم فى أن يختـار بين القـتل، أو الزنا، أو شـرب الخمـر، وكـان صالحـاً فاختار ما قـد ظن أنه أهونها.. أى الخمر...فلما شربهـا دارت رأسه؛ فلم يشعـر بنفسـه، فوقع فى الزنا ثم قام فقتل من زنا بها ثم انتحر .

وإنما ضربت لكما هذا المثل لأن المرأة قد طبـقته معى فلم أدر بحالى، وأعطـيت لها البردية التى كـان بها حل شفرة الصخرة وسر الكنز.

وقال مؤمن وقد أثارته الحكاية:

ـ وماذا فعلت المرأة بسر الكنز بعد ذلك؟

فقال الشيخ:

ـ انتـــهى يا ولدي... ولم يعـــد سـراً بـعـد ذلك. .فلقد انتشر الخبـر فى كل القرية ، وأصبحت كل يوم أرى الناس يحزمون الأمتعة ويهجرون القرية جرياً وراء الذهب... الأغـرب من ذلك...أن من خـرج لم يعد...وأدرك الناس وجـود خطر عظيم يكتنـف البـحـث عن الذهب...ورغم ذلك كـــان البريق الملـعون...بريق الذهب أقوى عنـد النفوس

من كل خطر... هكذا أخذت القرية تأفل يوما بعد يوم حتى غربت شمسها تماماً وبقيت فى النهاية وحدي... جلستُ أبكى الماضى... والغن الخمر والنساء. اللّذين افسدا علىّ طاعتى لربى ولكننى تُبت إلى الله توبةً نصوحة أسأله أن يتقبلها منى.

ساد وجوم مريب، وكان الرجل ينتحب بكلمات غير مفهومة يلوم بها نفسه، بسبب فعلته، ولكن مؤمن أراد أن يخرجه من حزنه فقال:

ـ إذن يا سيدي... أنا ونانسى لسنا من سكان القرية... فهل لنا فى معرفة مكان الكنز؟

انتفض الرجل مذعوراً وقال:

ـ أتريدنى بعد كل هذا الخراب واليباب أن أبوح لك بسر الهلاك والموت؟!

أَبَعْدَ كل ما حـدث تريد أن أتم جزيمتى بمصيـبة أخري؟. . .لتـذهب أنت وهى وراء المجهـول؟ لتنال نفس المصير الذى لاقته القرية ؟

قـال الرجل هـذه الكلمـات، ثم ســار كـأنه لا يعرفـهمـا ببطء شديد ناظراً أمامـه لا يهتـز طرفه. وسارا وراءه فى تعـجب وانبهـار، لقد كـان كالذى مـسه طائفٌ من السـحـر. . . وبلغ الرجل مكاناً به شجرة توت عـريقة، أمامها جلس على خـشبة ذات أشواك، ثم استلقى فوقها على ظهره، وأدرك مؤمن ونانسى أن الأشواك سوف تنغرس فى ظهـره فاقتربا منه وقال مؤمن: ماذا تفعل يا سيدي؟ هل تنام على الشوك؟ لماذا تفعل ذلك؟

لـم ينـظر الرجل لمؤمن. . . بـل كـان نـاظراً إلى السمـاء وعيناه تترقـرقان بالدموع. . .وقـال بصوت

معدنى كالحديد له صدى تردد فى الأجواء:

- إنها النهاية ياولدى.... هذا فراش موتي... كل أجدادى قد ماتوا عليه «عندما تجد أن لديك رغبة ملحة فى أن تنام على الأشواك وتنغرس فى لحمك ثم لا تشعر بها، فقد حانت نهايتك» هكذا ياولدى تناقلنا هذا الكلام المكتوب على شجرة التوت... يا بني.. أوصيك بدفني ثم هجمت فى الهواء رائحة الحناء والزعفران، ونظر مؤمن ونانسى إلى السحاب الذى أسرع يتجمع فوقهما، فأثارت ريح خفيفة أوراق الشجر ليعطى حفيفها لحناً جنائزياً مخيفاً... وشاعت فى الأجواء رائحة الاحتضار.

وقال الرجل وكأنه يتلو أهازيجه الغريبة:

- الأفق يرسل كل يوم رسالات إلى السماء، أعمال البشر.. السماء من قديم أرسلت

الأمانـة. . . الأعمال ضـيعت الأمـانة . . . البـشر ينوون بأنفسهم شراً ماحقا. .

قالت له نانسى برقة حزينة:

ـ لماذا هذا التشـاؤم يا سيدي؟ فلم يرد عليـها ، حتى قال لمؤمن:

– إليك وصـيـتى وهـى مـسـتـوحـاه من خلق النبـى «ﷺ» ومن حكمـــتـــه. . لو أن لك الـقلب الشفاف. . . فلسوف ترى وصيتى فى أصل شجرتى هذه اسمع.. قـال رسول الله ﷺ وهو يخطب في الناس في حجة الوداع «اتقوا الله ، وصَلوا خمسكم وصوموا شـهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطـيعوا أُمراءكم تدخلوا جنة ربكم»

ـ قـال مـؤمن وهو ينظر إلى جـثـة الرجل الذي صعدت روحه إلى السماء :

- إنا لله وإنا إليه راجعون . .

أجهشت نانسى بالبكاء، وجرت تفر من المكان ، إلا أن مؤمن قد دعاها لتساعده فى حفر القبر. . . . ولكنهما لاحظا وجود حفرة معدة لذلك من قبل، فأدركا أن الرجل أعد قبره من قبل، ترحم مؤمن على الشيخ، وجعله للقبلة وغسله ثم كفنه فى ردائه ثم واره التراب بعد أن صلى عليه .

وهكذا قد فشل مؤمن فى انتزاع سر كنز الذهب من الشيخ العجوز ، وتركاه فى النهاية وسارا قدماً يخترقان الطرق الوعرة. . . حتى وجدا نفسيهما أمام مستنقع كبير المساحة شاسع الأفق مزروع بالصخور. . . ولقد تكونت هذه البحيرة من ماء النيل عند الفيضان.

وقفا أمامه ينظران فى حيرة. . . يريدان تحديد

أطرافه ومعرفة أبعاده فقال مؤمن:

ـ ما رأيك يا نانسى فى هذا العائق الكبير؟

قالت نانسي:

ـ لا أدرى ماذا يمكنا عمله إزاء هذا البحر العظيم.

فأخذ مؤمن يجول بنظره فى أنحاء المكان ، ثم صعد فوق صخرة عالية يستطلع الطريق، وبعد برهة قال لنانسي:

ـ يا إلهى ... نانسي... إن المرور حول هذا المستنقع يلزم له يوم بليلة؛ إنه طويل يتجه ناحية اليسار بطول لا يقل عن مسيرة يوم بليلته على الأقل.

فردت عليه نانسى حائرة:

ـ إذن لا مفر.. لا مفر أمامنا من العبور... إن الشط المواجه يظهر بوضوح؛ ولن يستغرق هذا أكثر

من ربع الساعة.

فرد مؤمن وهو مازال فوق الصخرة:

- نانسي... فى الحقيقة ... أنا لا أخشى على نفسى من العبور... إنما أخشى ذلك عليك.

فضحكت نانسى وقفزت... فتطايرت ضفائرها فى الهواء وقالت:

- ما معنى هذا الكلام يا سيد مؤمن؟ أنا طفت فوق النيل من السودان إلى مصر منذ خمس سنوات، وسأثبت لك أننى أقوى منك وأكثر مرونة ورشاقة... هيا... هيا... فلتطأ بقدمك فى النهر.

كان الماء راكداً قاتم اللون ... فلا هو المتحرك أو الصافى الرائق... فلم يتبينا عمقه ولكن وجود الصخور المنثورة فى المستنقع كان يدفعهما للوثب

عليـها، والقـفز من إحـداها إلى الأخرى. . . كـانا يلهوان فى مرح تداعبهـما روح المغامرة. . . إلا أنهما قد تسـمرا فجـأة. . فلقد تحركت الميـاه تحت قدميـها حركـة مفاجـئـة ـ عكرت صفوة المرح كـما عكرت صفحة الماء ـ .

وهتفت نانسي:

- مؤمن. . . . ما هذا؟ يا مؤمن. . . ما هذا؟

فرد مؤمن حائراً:

ـ لا أعــرف . . ولكن لابد أنـه ســمكة . ألا تعلمين أن الاسماك هنا لابد أن تكون كبيرة الحجم؟

فقالت نانسى :

ـ وقد تكون متوحشة

قال مؤمن:

ـ لا أظن . . . فالماء صاف كما ترين . . . لا بد أنها سمكة صغيرة.

كان النهار فى أوله والشمس لا يشوبها سحاب. . . فهى قرص من النار يلهب الوجوه، وتبخرت على أثرها مياه المستنقع؛ فتشبع الهواءببخار الماء. . .مما جعل الجو رطباً لزجاً لا يطاق . . . والحشرات اللاسعة لاترحم. . .إلا أن حركة الماء الراكد ازددات حدتها؛ فتوترت البحيرة وفر السكون. . . وانزعج الصمت، ولاحت فى الماء نقوش متعرجة لها ألوان عجيبة، واهتزت بعض الصخور، وظهر ثعبان رأسه كرأس الجمل وفى حجمها. . . وبرغم أن هذا الوحش غير سام. . . ألا أن سلاحه يكمن فى قوة جسده العضلى القوي. . . الذى يلتف حول الفريسة لفات عديدة

ويضغطها بعضلاته حتى يعصرها عصراً ويفتت عظامها حتى يقتلها ثم يلتهمها إلتهاماً.

كاد أن يغشى على نانسى من شدة الفزع . . . ولقد أحس الثعبان بهما، وضايقه وجودهما فى مملكته الخاصة. . . فقرر أن يتعامل معهما.

* * *

وفجـأة برز الوحش الخرطومى الهائل فى حـركة فـجائيـة فضـربهمـا بذيله الضـخم فسـقطا فى الماء يصارعان الغرق.

ولم يمهلهما فتوجه بسرعة ناحية مؤمن ، وطوقه بجسـمه . . . بينما كـانت نانسى لا ترى شيـئا من جراء انتشار رذاذ الماء بعشـوائية فى الجو أثناء الصراع بين مؤمن والثعبان. . . ولقد تـشبثت بسرعة بإحدى الصـخور. كـان صراخ مـؤمن يبلغ العنان وهو يكاد يتمـزق وتتكسر عظامه تحت وطـأة الضغط الرهيب، وأخذ يحاول إخراج سيفـه من غمده، إلا أن الثعبان قد شل حركـته وأعاقه تماما عـن ذلك، فأخذ ينادى على صديقـته نانسي. . . التى لم تهـدأ عن الصراخ خوفاً عليه من الموت، فأخذ يصيح فيها:

ـ نانسي. . . . ساعـديني. . إنى أريد السيف. . .

اقتربى إنه مشغول بى؛ ولن يمسّك.

لم تتردد نانسى ، فقفزت إلى الماء وسبحت مستندة بالصخور، واقتربت من حدة الصراع تحاول أن تخرج سيف مؤمن من غمده، وبعد عدة محاولات مرعبة... نجحت فى ذلك، ثم ناولته لمؤمن فى يده ، وفرت مسرعة بعيداً عن ضربات ذيل الثعبان الرهيب.

أخذ مؤمن يطعن الثعبان فى جسده طعنات قاطعة متتالية، مما زاد فى ثورته، وزاد من حدة الصراع... فكان يتلوى بسرعة معرضاً مؤمن للغرق.

حاول مؤمن بكل قوته أن يصيب رأس الثعبان، فأخذ يطعنه فى المكان الذى كان يقبض به على ذراعه الأخرى فتراخى جسد الثعبان قليلا مما أتاح له استبدال السيف باليد الأخرى... وهكذا أصبح



ســهــلاً عليه أن يــذبح الثعــبــان ذبحــاً، وتبع ذلك بطعنات أخرى سريعة حتى تراخى الثعبان، وخارت قواه ، واستطاع مؤمن أن يخرج من بين التفافات جسمه. . . فآثر أن يتم فصل الجسم عن الرأس حتى يطمــئــن تمامــا لموته. ومن بين الـطمى الأســود والفطريات اللزجة المنتشرة على سطح المستنقع القذر الذى تلوث بدمــاء الثعــبان. . . أخــذ مؤمن يسـبح بجهـد، يلملم هو و نانسى مــا قد تناثر منهـما من متاع أثناء الصراع الدامي.

وقال مؤمن لاهثاً:

ـ كنا سننتهى تماما يا نانسي. .

نظرت إليه بعينيهــا الصغيرتين معجبةً بشـجاعته وقالت:

- إن عناية اللـه كـانت سـلاحَك يا مـؤمن... ولولاه لضعنا والتهَمَنَا الثعبان.

فقال مؤمن:

ـ هذا أغرب ما رأيت فى حيـاتى ومغامراتي... إنه ثعبان رهيب.

ردت عليه وهى تضحك فرحة بالنجاة:

الدنيا مـازالت مليئة بالغـرائب التى لم يكتشفـها الإنسـان حـتى الآن. المهم الآن ... أعـتـقـد أن المسافة مـا زالت طويلة، وأن الخطر لا يزال يختبيء لنا بين الأحراش... فما العمل إذن؟

قال مؤمن:

- العمل يا صـديقتي... أن نقـوم بصنع قارب من جذوع الشجر لنسـهل الرحلة؛ ونستقله فى النهر

حتى نصل.

نظرت نانسى حـولهـا ثم قالت له بعـد أن لمحت جذعاً ضخـماً في مكان ليس ببعيد عنهـما فاشارت إليه وقالت: ـ آه... إنك شـديد الذكاء... عندما رأيت هذا الجذع استـوحيت منه فكرة صنع القارب، أليس كذلك؟

كـان الجذع الضـخم منزوعـاً من الأرض، ولقـد تجوف داخله إثر عامل التعرية... فما كان منهما إلا أن أخذا يعمـلان على تسوية أطرافه الجانبـية بالسيف والبلطة كما عملا على زيادة التجويف الداخلى حتى يسعهما معاً، ولقد كان كبيراً ثقيلاً؛ فبذلا جهداً كبيراً وهما يدحرجانه نحو شاطئ النيل.

وأخرج مـؤمن حبلاً فاسـتطاع أن يربطه بالجذع ، ثم دفعـه ومعه نانسى إلى الماء؛ و بالحـبل استطاع أن

يتحكم فيه وهو فى الماء.

ثم جذبه وأمسكه بيده حتى هبطت نانسى إليه ومعها قطعة من غصن شجرة لاستخدامها كمجداف.

قفز مؤمن وراءها بعد أن ألقى إليها متاعه، وتهادى القارب الشجرى فى ماء النيل بدفعات من المجدافين.

ولكن نانسى عاودها الخوف القديم من النهر فصاحت:

- يا إلهي... لا أستطيع... لا أستطيع تحمل هذا المنظر يا مؤمن الماء يكاد يغمر القارب.

فقال لها مؤمن بثبات:

- لا تجزعى يا صديقتي... سيظل القارب طافياً

على الماء بأى حال من الأحوال... لا تخافي.

كان الجو رغم ذلك بديعاً جميلاً، ينساب النيل فى دعة وهدوء جميل، وريح خفيفة تصنع من صفحته موجات بسيطة جعلته يترقرق كجسم السمكة فى ضوء الشمس الساطع ، وحاول مؤمن مع الوقت أن يبث الطمأنينة فى نفس نانسي، ولقد اعتادت الحال بعد أن قطع بهما القارب مسافة لا بأس بها، وبدأت نانسى تتحدث مرة أخرى بلهجة مرحة فقالت:

- آه.. لو انقلب بنا هذا الجذع... فلسوف ننتفخ من كثرة شرب الماء.

فضحك مؤمن وقال:

- الجذع كما ترين عريض كبير الحجم و لن يحدث ذلك بسهولة يا نانسي.

كان الجذع الخشبى يسـير في النهر وهما لايدريان أن الشلال قد اقترب، وأن عليهما أن يحتاطا لذلك. ولا حظ مؤمن ذلك، ولكن هل فـات الأوان؟ لقد أخذته ثورة وأخذ يصيح فى صديقته:

-إسـتـمـرى فى التـجـديـف نحـو الشـاطئ يا نانسي.... بسـرعـة... بقوة... لقـد نسـينا أن هناك شلالاً سوف يعترضنا.

أخذا يجـدفان بكل ما أوتـيا من قوة، ويدفـعان الجذع نحو الضفة الشرقية للنهر إلا أن الماء كان تياره أقوى من ذراعـيهـما الصـغيـرة ..؛لقد اقتـربا من الشلال...ها هو الجبل الصخرى الهائل الذى ينهمر الماء من أعلاه بسرعـة رهيبة ليسقط فى قاع عـميقة صانعـاً ثورة عارمـة.من العشوائيـة، فكان رذاذ الماء يصنع سحابات كأنهـا معلقة فى الهواء. والخطر فى

السقوط من هذا الارتفاع إلى البحيرة العـظيمة أسفل منه هو ما كـان يحدق بالصغيريـن. كان اندفاع الماء فى اتجاههما يساعدهما على الابتعاد رويداً رويداً عن مسقط الشلال، ولكنهـما لم يدريا أن وجود الشلال يعنى العديد من دوامات الماء على مـختلف أشكالها وقوتها. ولقد دخل الجذع بالصـغيرين فى دوامة مائية قـوية صنعـتـهـا اندفاعـات تيـار مـاء الشـلال مع التضاريس الغريبة لصخور النهر.

وصاح مؤمن:

ـ تماسكى يا نانسي... أنها دوامة مـائية... هيا ابذلى أقصى جهدك حتى نخرج منها.

ولكن نانسى قـد بدأ يصـيـبـهـا الدوار وأُنهكت قوتها، وكادت محاولاتها تذهب هباء.

وازداد اندفاع الماء من أعلى الشلال وزادت معه حدة تدفق الماء في النهر وأخذ القارب يدور كالعجلة في دوامة هائلة. . .وفجأة. . . ارتطم القارب بصخرة ، فأطاح بمؤمن ونانسي في الماء، فظلا يقاومان الماء الأخضر الثقيل، وبرغم السماء الصافيةِ الزُرْقَةِ كان الموتُ يمسح بسواده كل معنى للجمال ، وكان الاستسلام نهاية كل شئ . . . ها هي الدنيا قد اسودت، وامتلأت الأعين بفقاعات الماء، خارت القوى. . . وذاب الأمل بسرعة غريبة في ماء النيل المرعب. لم يعلم أحد بعد ذلك كم مضى من الوقت بعد ما أغشي عليهما في ماء النهر؟ إنهما الآن على استعداد لسؤال الملائكة؟ « هل أنا شقي أم سعيد؟» .

هل مرت الحياة بهذه السرعة وحان وقت السؤال

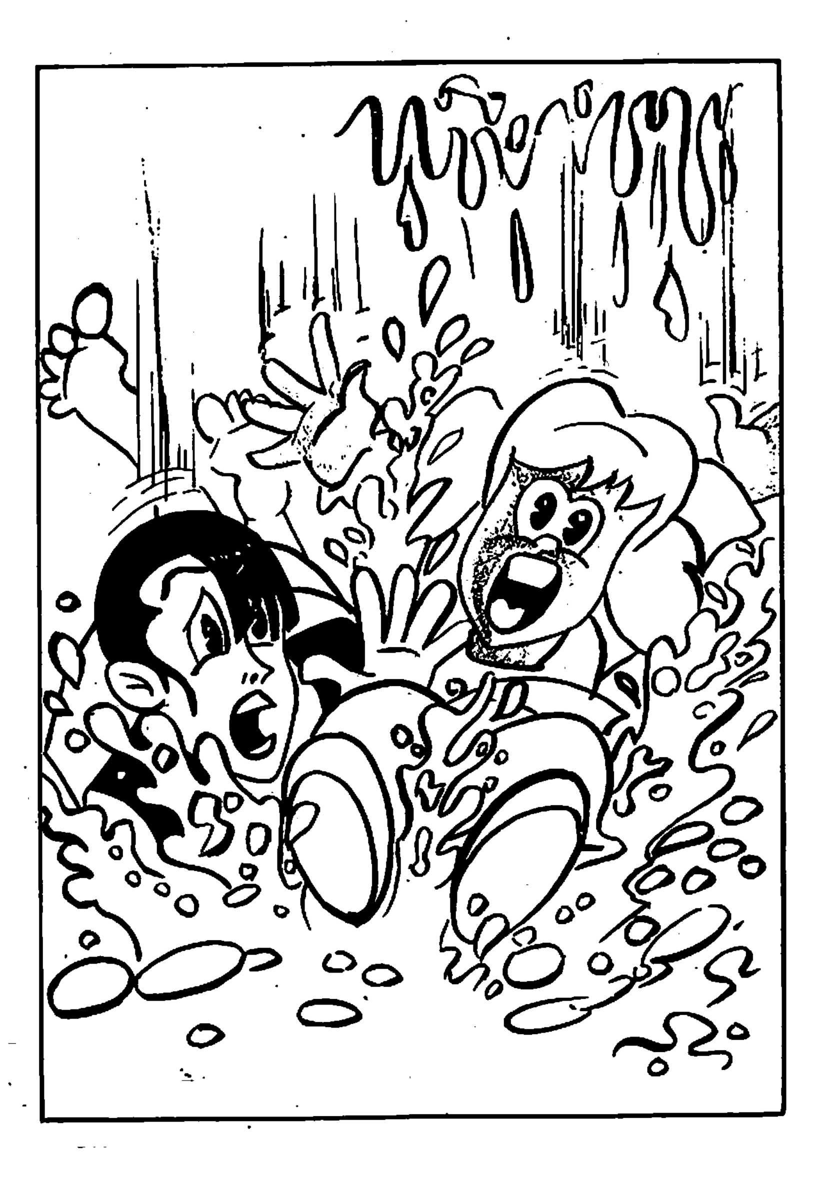
؟! والحساب .

« هل من عودة إلى الدنيا مـرة أخرى حتى نعمل الصالحات ؟»

« هل الطريق الآن - لامحالة- يتفرع إلى طريقين لا ثالث لهما؟ الجنة أو النار؟»

ولكنهـما أحـسـا أن الحيـاة مـا زالت تتمـسك بهمـا. . . فلقد استيـقظا ليجدا أنهمـا فى كوخ من أكـواخ قبـائل الأدغال. . .يشـبه إلى حـد ما كـوخ الرجل العجوز الأسمر الذى ملت بينهما.

وسـمـعـا صـوت الناس فى خـارجـه يلغطون ويتصـايحون،وفجـأة دخلت عليهـما سيـدة شديدة سوداء البـشرة، ترتدى زيا سودانـى الطراز، وعندما نظرت إليهـما ابتسمت ثم اخـذت تصيح؛ وصنعت



جلبة شديدة، وخرجت تهلل وعادت ومعها أناس كثيرون فالتفوا حول مؤمن ونانسى، وهم ينظرون بدهشة وفضول شديدين، ولكن نانسى بدأت بقطع حبل الصمت فقالت لهم:

ـ من أنتم؟ ولماذا نحن هنا الآن؟

خرج من بينهم رجل قوى عارى الصدر فاحم اللون فابتسم، وقبل أن يتكلم نظر للقوم فعلت همهماتهم ثم تحدثوا بلغة غريبة. ثم أخذوا ينصرفون من الكوخ الواحد تلو الآخر، وهم يشيعون مؤمن ونانسى بابتسامات جميلة وعبارات يبدو أنها تهنئة بالسلامة، ولم يبق معهما سوى الرجل الذى بدأ يتكلم فقال بلغة مصرية وإن كان يتعثر فيها:

ـ لقد كنتما ستموتان غرقاً... ما الذى دفعكما إلى هذه المغامرة الخطرة وأنتما صغيران؟

قام مـؤمن ونظر حوله فى المكان ووجـد متـاعه وسيفه فحمد الله ثم قال للرجل:

ـ لقد تذكرت الآن. . . ياإلهى . . . لقد كنا على وشك الغرق فى النهر.

ابتسم الرجل وقال:

ـ لقـد كنت أنا وزميـلاى فى رحلة صيـد، وكنا نسير بحذاء الشلال. . . فـرأيت جذع الشجرة يلقى بكمـا إلى الماء، فلم أملك إلا دفع صـاحـبىَّ إلى الماء، وأنقذاكما قبل أن يبتلعكما النهر . .

فسأله مؤمن:

ـ وأين نحن الآن يا سيدى بالله عليك؟

فرد الرجل:

أنتما الآن فى السودان يا بني. . .

ولقد أحسنت القرية استقبال مؤمن وصديقته، وأدى ذلك إلى إنغماسهما فى ثقافة القرية السودانية التى كانت تتطرف الشرق ناحية سلاسل الجبال العالية زاهية الألوان، وكانت نانسى أسرع من مؤمن فى التشرب بعادات أهلها الأصليين. وذات يوم بينما كان مؤمن يجلس تحت شجرة فى صحبة أحد شباب القرية ويدعى «ريحان »وكان شابا قوياً مفتول العضلات... لاحظ مؤمن أنه كان يدقق النظر ناحية الجبل، وكان النهار قد ولى، ودخل الليل يزهو بنجومه اللامعات... وفجأة انتفض ريحان وقال فزعاً يخاطب مؤمن:

ـ انظر يا صديقي... انظر إلى الجبل.

نظر مؤمن نحو الجبل ولكنه لم يرى أى شئ غريب، ولكن عندما تكررت أفعال ريحان لاحظ

مـؤمن بريقاً لامـعاً خـاطفاً يصـدر من أحد أمـاكن الجبل.

ولما تقابل مـؤمن مع نانسى بعد ذلك تناقـشا فى أمر البريق الغامض الذى كان يحير أهل القرية.

فقال مؤمن لها:

ـ لقد شاهدته بعـينى يانانسي... فى الجبل الذى يبدو صغيراً... كان هناك بريقٌ خاطفٌ.

فتساءلت نانسي:

ـ وما الذى يمكن أن يكون من أمره يامؤمن؟

فقال لها مؤمن:

ـ لا أعرف ولكن الواضح أن أهل القـرية يخشون ذلك الوميض... فـلقد حدثنى ريحـان كثـيراً عن بريق الجبل...

فردت نانسى مقاطعة :

ـ إذن قل كل ما حكاه لك ريحان . . . ها ماذا قال؟ فقال مؤمن :

ـ قال ريحـان أن هناك حيواناً خرافـياً يسكن بطن الجـبل،وعندما يخـرج من كهـفـه تلمع عيناه بهـذا البريق.

إنه يؤكد ذلـك ويقول أن هناك شهـود عيـان قد أكدوا رؤيتهم لهذا الوحش،وتعرضوا له ثم نجوا منه بأعجوبة

اتسعت جدقتا نانسى وقالت:

ـ شئ غـريب حـقـاً. . . أنا يامـؤمن لا أصـدق الخـرافـات. ولكن هل غـامـر أى من أهل القـرية بالذهاب إلى الجبل؟ فقال لها مؤمن:

ـ لقد أكد ريحان أن كل من ذهب إلى الجبل لم

يعد حتى الآن... وأن هذه المنطقة أصبحت مرعبة مخيفة.

فكرت نانسى قليلاً ثم قالت:

ـ هذا الكلام يتشابه مع حديث الشيخ العجوز فى جنوب مصر... حقاً إن الخرافة قد تمكنت من الناس.

هنا انتهت المناقشة وأطبقت الجفون على حيرة وتساؤلات لا حصر لها... ونام النوم على فراش من أرق وقلق، فلم تنم الأفكار. واعتركت الظنون فى الصدور، وارتابت العقول ونسجت من الاحتمالات أثوابا قد يكون للحقيقة نصيبٌ منها .

* * *

وفى منتصف الليل انتفضت نانسى كأنها لم تنم وأخذت توقظ مؤمن .

ـ مؤمن . . قم أيها الكسول . . قم . . لقد عرفت سر البريق الغامض . . لقد عرفته . . قم يا أخي .

قام مؤمن متثاقلاً فانتبه على كلام نانسى وهى تقول :

ـ قم يا مؤمن . . لقد عرفت السر . . سر البريق الغامض . . اسمعني . . . أتذكر حديث الشيخ العجوز عن كنز الذهب الذى ذهبت القرية كلها من أجله؟ .

فرد مؤمن وقد زاد انتباهه :

ـ نعم أذكر ذلك جيداً . . . ماذا تقصدين؟

قالت ملاحقة :

إن الجبل الذى يخشاه أهل هذه القرية ما هو إلا منجم الذهب ، وهذا البريق هو لمعان عروق الذهب فى ضوء القمر... وهو نفس الكنز الذى ذهبت القرية وراءه، والذى رفض الشيخ أن يبوح لنا بسره.

دهش مؤمن من تفسير نانسى وتحليلها المنطقى فقال:

- يا إلهي.. كيف واتتك هذه الفكرة؟ كلام منطقي.. إن الذهب يمكن أن يكون كالعروق يتوغل فى جدران الجبل وفى باطنه.. حقاً.. فقد تتعرى من الجبل قشرة يلمع من تحتها بريق الذهب المدفون.. وهذا مايراه أهل القرية ويحسبون أنه وحش خرافي.. ولكن... ما السر؟ ما السر فى أن كل من يذهب إليه لا يرجع مرة ثانية؟

فقالت نانسي:

ـ هذا مـا يحيـرنى يا مؤمن... حـقيـقة...إن بالجـبل شيـئـاً يذهب بكل من أتى إليـه... بدليل اختفاء القرية. شرد مؤمن نحو الباب الذى كان يطل على الجبل البعيد، وبدا الجبل كـصفحة مظلمة تسد الأفق، ولكن نانسى قطعت حبل أفكاره فقالت:

ـ فيم تفكر يا مؤمن...مـؤمن..هل فكرت فيما فكرت فيه أنا؟

نظر اليها مؤمن ثم أومأ برأسه فعرفت أنه قد قرر نفس قرارها، وبـدا أنهما قـد اتفقـا بلا كلام. وفى الصباح كان هناك اجتمع من أهل القرية حول مؤمن ونانسى عندمـا قررا الذهاب لفض الغـموض حـول «البريق الغامض»، واعـترض الناسُ خوفاً عليـهما، ولكنهما عزما على الذهاب مما اضطر أهل القرية إلى توديعهمـا الوداع الأخير، وفى ظهيرة اليـوم الأخير

كان مـؤمن وصديقته يسـيران نحو الجبل الذى يبـعد عن القـرية مسـيرة سـاعتين. وفى منتـصف الطريق سمعـا صوت ريحان ينادى عليهما ويجـرى نحوهما ممسكاً حربته فى يده وقال:

- لم يطاوعنى قلبي. . .أنا معكما حيث تذهبان.

انطلقوا وعيـونهم تتطلع إلى الجبل الصامت الذى يكتنفه الصمـت والبريق. . . وبعد جهد جـهيد، فى الصحراء الشاسعـة تحت سطوة الشمس. . .استطاعوا أن يقفوا أمام الجبل الشاهق وقال ريحان:

- لابد أن نتسلق الجـبل لنصل إلى منتصفـه حيث يبدو البريق من هذا المكـان ولنكن على حذر، ولقد جلسوا يستريحون تحـت صخرة ناتئة من الجبل . . . فـشربـوا بعض الماء وتناولوا لقـيـمات يسـدون بهـا جـوعهم، ثم قـرروا تسلق الجـبل إلا أنهم قـبل أن

يقوموا سمعوا صوتا يأتى إليهم من أعلى الجبل. . . كان الصوت يقترب هابطا فقال ريحان هامساً:

ـ فلنلـزم الصـمت والسكـون، ولا ندع أثراً من حـركـة أو صـــوت ونتـســمع. . . لمـن يكون هذا الصوت؟

وبدا بعد ذلك أنه صوت جـديث بين رجلين كانا يهبطان فوق صخور الجبـل ، ثم وقفا فوق الصخرة التى كـان يستظل تحـتها الأصـدقاء الثـلاثة. . وبدا حديثهما مفهوماً. . . فكان يقول أحدهما للآخر:

ـ هل أنت متـأكد يا زاهرأن هناك من اقـترب من الجبل؟ قال الآخر:

ـ فى الحقـيقة لقدكنت ثمـلاً من الشراب، ولكن رأيت بقعة تسـير نحونا وبعدما ذهبت أخـبرك عدت

فلم أر شيئا . صدقني يا شهير . . . فقال الأول

-هل تهذي؟

- هل أنت سكران حتى الآن؟ ثم أين هؤلاء المتطفلون؟ لو اقتربوا من المنجم؛ ستكون نهايتنا، ويقتلنا الحاكم.

فقال الثاني:

هيا . . . هيا إذن نمشط المكان . . . فلنذهب إلى الجهة الأخرى لعلهم قد داروا حول الجبل. تأكد الأصدقاء الثلاثة بعد حديث الحارسين زاهر وشهير أن الجبل به منجم للذهب، وتأكدوا أيضا أن هناك من يقضي بالموت على كل من يقترب من المنجم. . . أخرج مؤمن رأسه وألقى نظرة سريعة خاطفة على الحارس شهيز وهو يدور حول الجبل ثم قال

لأصدقائه:

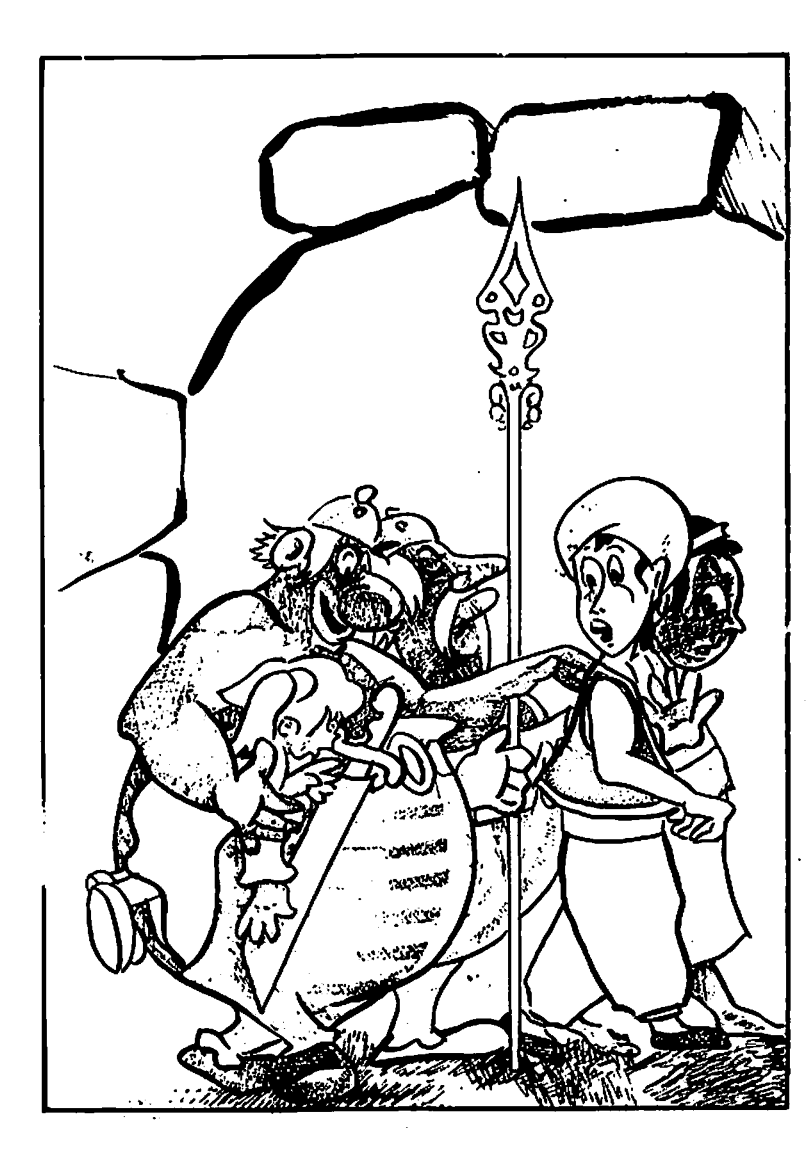
ـ إنهما مسلحان بالسيوف والجراب والدروع. . . يا إلهي. . . كيف سنقاومهم؟

قبل أن يتم مؤمن كلامه كان شهير وزاهر يطوقانه من الخلف هو وريحان، وأحس كل منهما بنصل خنجر حاد يكاد يثقب جنبه، ونظر زاهر ناحية نانسى التى همت بالفرار فمد يده نحوها وأمسكها من ضفيرتها وهو يقول:

ـ عروسة جميلة، . . . ياحظى السعيد.

انتهز ريحان هذه الفرصة فضرب زاهر ضربة أطاحت بخنجره .

أما مؤمن فلقد عض بفكيه على ذراع شهير وتملص من قبضته، وفر مسرعاً يدور خلف الجبل



تاركاً الصــراع على أشده بين زاهر وريحــان ، بينما شهير لم يتبعه بل حمل نانسى بين يديه وهى تصرخ مستغيثة .

فر مــؤمن من الخطر ولكنه ندم ندماً شــديداً على تركه صديقــته نانسى فريسة للجنــدى . . . فلقد كان ينبغى أن يتــبعه ويدعهــا ، ولكنه لم يتبعــه، وقبض عليهــا . . فأحس مؤمن بالذنب، وقــرر أن يستعــيد أمــانة الحكيم «نانسى » مــهمــا كلفه الأمــر، . . ودار يجرى خلف الجــبل، ولم يعرف مــا الذى جرى بين ريحان وزاهر .

ولقد أخذته ثائرة الشرف والكرامة، فاندفع عائداً لا يهاب الخطر؛ حتى ينقذ نانسى من بين أيدى هؤلاء الأشرار ، فأخــذ يتحدى الجبل الذى كــان وعراً من هذه الجهة، وتسلقــه حتى وصل إلى مدخل الكهف

الذى كـان يظهر البـريق من جانبـه، ودلف بسرعـة داخل ممر طويل مظـلم، مـا إن دخله حـتى سـمع صـوت أقـدام تأتى من بطن الجـبل . . . فـالتـصق بالجـدار قابعـاً يجلس فى الركن، إنه صوت أقـدام الحارس شهيـر . . كان يصفر بفمه سـعيداً . . . ومر بجانب مـؤمن، ولم يشعر به، فأخـذ مؤمن يزحف إلى داخل الممر على بطنه، فلما أطمـأن سار صاعداً ورأى دهليـزاً صـاعـداً ثم هابطا دركـات قليلة . . حتى لاحظ أن الظلام يبدده ضوء مصابيح نارية . . . وتوقف عندما سمع أصوات تكسير، ومعاول وأشياء تجر على عجلات .

أخذ يقترب قابضاً على سيفه، فرأى مكاناً واسعاً فى بطن الجبل يخترقه قـضيب حديدى، عليه تجرى عربات خـشبـية محـملة بالحجـارة. كانت السـاحة

مضاءة بشدة، وأناس سود الوجوه كـالعبيد يحملون المعاول والمقـاطف ويجّرون العربات وعليهـا حراس أشداء من السـود أيضاً. . . كانوا يمسكون بالسـياط والسـيوف، ولاحظ أيضـاً أن هناك سـخرةً شـديدةً وظلماً بيِّناً

فالحراس يتجـولون بحرية يتابعون حركـة العبيد المسخـرين. وفجـأة تحرك أحد الحـراس ناحيـة الممر الذى يقف فيه مؤمن، فـالتصق بالجدار وتوارى منه فى ظل الممـر ،ثم الحارس من الخلف وقـبض بشدة على رقبته فخرّ الرجل مغشياً عليه من الاختناق. . . ثم دخل مؤمن الساحة الواسعة يصرخ بزئير المتحدى فهجـموا عليه. . . فأخذ يبـارزهم بالسيف. . كانت حركاته جديرة بالإعجاب. . . فها هو يقفز من فوق العربـات، ويضرب بسيـفه على الأذرع ولا يـقتل،

ولقد أصاب من الحراس عدداً كـبيراً، لكنهم حاولوا التجمع ضـده ، وقفز يصارعهم من فوق القـضبان داخل ممر طويل مظلم. . . ولم ير مـؤمن أى شئ؛ فـالظلام كـان حالكاً. . . وفـجـأة لاحت فى باطن الجبل ساحة أخرى أوسع من السابقة.

وبمجرد دخوله إليها مندفعـاً بعربته أصابته ضربة عصـا غليظة من أحـد الحراس، ولم يشـعر بنفـسه بعدها.

وعندما أفـاق وجد نفســه أمام نانسى وهى تبكى بفـرح فرحـاً شـديداً إلا أنهـا كـانت تبكى لما رأت حالهـما، وكـانت تمسح عن مؤمن الـدم الذى كان ينزف من رأسه. كانا فيما يشبه الزنزانة، عليها بابٌ من الغاب القـوى، وحارسٌ يحرس البـاب، وكانت حركة المنجم تدور أمام أعينهما فلم يتحدثا طويلا،

بل جلسا ينتظران المصير المحتوم. لم يطل المقام كثيراً . . فلقد فوجئ الجميع بمجموعات هائلة من السود يحملون الرماح والسيوف والحراب، ويقتحمون الساحة دون هيبة من الحراس الذين فروا داخل الممرات من الفزع، وشاهد مؤمن ونانسى صديقهما ريحان وهو يجرى بين الناس، ثم هرول نحوهما وأخرجهما من السجن، وقال لهما وهو يبتسم:

معذرة يا صديقىَّ. لقد فررت حتى ذهبت للقرية فأحضرت كل من بها من رجال وشباب من أجلكما، إن الناس بعدما سمعوا ما رويته لهم عن حقيقة الجبل ؛ انفجروا فى ثورة رهيبة، وها هم سيحررون الأسرى الذين غابوا عن ديارهم من زمن طويل . . إن بهذا المنجم قرىً بكاملها.

نظر إليه مؤمن وقال:

- اعلم يا ريحان أنه من فرج عن مؤمن كربةً من كُرَبِ الدنيا، فرج الله بها عنه كربة من كُرَبِ يومِ القيامة... وكان الله في عونِ العبد ما دامَ العبدُ في عون أخيه.. إن ما يحيرني... من الذى سخّر هؤلاء الناس؟ لا بد أنه مجرمٌ عتيد...ولكن مالى أراكِ حزينةً ياً نانسي؟

فردت نانسي:

- مؤمن... لقد حدث شيء غريب...هناك سيدة أحس نحوها بشفقةٍ كبيرة ... أكثر من أى امرأة أخرى... لقد كانت تحمل مقطف الحجارة، وتنظر لى نظرات غريبة.. أريد أن أراها يا ريحان...

قال ريحان:

ـ كل الأسرى الآن فى طريقهم للقرية... لا بد أن نساء القرية سيعدون لهم الطعام، ويعملون على تضميد جراح هذه السنين المظلمة... هيا بنا الآن... إن الجيش سيأتى بعد قليل ليتسلم المنجم...هذا حق البلاد كلها..تعالى يا نانسي.. تعال يا مؤمن.. إلى القرية لنرتاح.

وقف مؤمن ونانسى على باب المنجم ينظران أسفل الجبل لجموع من الأسرى، بين فَرِحٍ ومنطلقٍ، وبين مظلومٍ مقهورٍ لا يقدر على المشي... كانوا يسيرون فى طابور وكأنهم قد شربوا النظام ونسوا أنهم أحرار.

وقالت نانسى:

مؤمن. . .قلبى يتحرك بشئ، يكاد يطير إليها. . .
شئ ما يقول لى أنها هي.

وفى القرية . . ارتمى الأسرى فى أحضان ماء النيل يغتسلون فيلقون فى النهر عذاباتهم وهمومهم، ويجددون الأمل، ويستمدون من النهر. . .« الحياة » وكان الواحد يرجع منه غير الذى كان.

ووقف مؤمن يمسك نانسى بيده ينظران للعائدين من النهر، وأحس أنها قد توترت وانقبضت وهى تنظر لسيدة تقترب وهى تنشف وجهها من الماء. . .
كانت ما زالت شابة وإن كان الظلم قد أخذ منها كثيراً.

توقفت أمام نانسى وتسمرت. . . أخذت كل واحدة تحدق فى الأخرى. . . النظرات تنطلق محملة

بشحنات هائلة من الحب والشوق... كل خلجة في وجه نانسى تقـول لها «أنت أمي» وكل رعـشة فى شفتى الثانية تقول لنانسي« أنت ابنتي» ...

وقف مؤمن يتابع الموقف مشدوهاً مبهوراً...ها هى الابتسـامة الحنونة تجذب الدماء الدافـقة، هذه يا نانسى هى المشيمة التى وهبتك الحياة.

زغردت السماء، وغـزت رائحة الفل الراقصة كل الأجواء... وفـردت نانسى ذراعيها ورمت رأسـها للوراء، وهكذا فعلت أمها...وجرت أطول مشوار فى تاريخهـا، بضع خطوات نحو أمها التى فـتحت صدرها وندت منها صرخة...

لم تكن صـرخةَ خـوفٍ ولا أنينٍ ، بل صرخـةُ الفرحِ وقالت:



ـ نان. . . سي. . . ابنتي. . .

لم تكن صفعة، ولم يكن اصطداما. . . بل كان التقاء الصدرِ بالصدر، وولوج الرأس بين الذراعين ولم تقوَ أى رجل من الأربعة على تحمل هذه الصدمة. . . فخارت من الفرحة كلَ قوةٍ. . .وارتمت نانسى وأمها على الأرض. . .

شوق الخمس سنوات يعبر عن نفسه فى لحظة. . .

لم ير مؤمن دموعهما التى غسلت وجهيهما بسبب دموعه التى انهمرت. . . فمند متى هو الآخر لم ير أمه؟ كانت الفرحة لا مثيل لها فى القرية. . .وها هى قرية نانسي. . . قرية العجوز الذى مات فوق فراش الأشواك. تستعد للعودة إلى

البيوت المهجورة. وعلمت نـانسى أن أمها قد فعلت مـثل أم سيـدنا موسي. . . عـندما أحـست بالخطر عليهـا، ألقتهـا فى قارب خشـبى إلى النيل ومعـها الحجاب بعدما قُتل أبوها فى المنجم الرهيب. وعاد مؤمن مع أهل القرية بعد أن ودع ريحان وأهله ، ثم وقف بعد ذلك أمـام قبر الشيخ العـجوز، ورأى فى أصل الشـجـرة. « شـــجـرة التـوت » وصـيـة الرجل. . . فلما اقترب منها قرأ كلامها، وكان نفس الكلام الذى قـاله له الشـيخ قـبل مـوته . . . قـال رســول الله ـ ﷺ ـ « اتقوا اللــه ، وصلوا خمـسكم وصوموا شــهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطـيعوا أُمراءكم ، تدخلوا جنة ربكم»..

بكى مؤمن واغرورقت عيناه بالدمع . . . وطأطأ

رأسه ناظراً للأرض تحت الشجرة وهو يقول:

ـ الحمد لله رب العالمين. . . الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة. واذا به يختلط عليه النظر، وظن أنه قد خدع نفسه بدموع عينيه ولكنها فى الحقيقة كانت «جوهرة» حقيقية والريح ترفع التراب من فوقها. . .فمد يده وأمسكها مبتسماً وأدرك على الفور أنها جوهرة المروءة وكان ذلك جزاء ما قام به من عمل الخير وإعادته الفتاة «نانسي» إلى أهلها.

تمت بحمد الله تعالى

وإلي اللقاء مع مؤمن في ..

جوهرة المدينة المتحجرة

تمتع مع مؤمن فى :

١- جوهرة الكهف المسحور .

٢- جوهرة البحر السابع .

٣- جوهرة البركان الأحمر.

٤- جوهرة مملكة الموتي .

٥- جوهرة الأدغال المتوحشة.

٦- جوهرة الصقيع المظلم .

٧- جوهرة البريق الغامض .

٨ - جوهرة المدينة المتحجرة.

٩- جوهرة ميناء المذبح .

١٠- جوهرة الرمال الملتهبة

جوهرة المدينة المتحجرة

لقد كان منظراً بشعاً مخيفاً ... ثلاثة من الرجال وجوههم وملابسهم كقراصنة البحار ، متجمعين حول فتاة جميلة مطروحة علي الأرض ، وبيد أحدهم سيف حاد والآخر يحمل بلطة لامعة ، والثالث يرفع بكلتا يديه ساطوراً غليظاً ، ينوون الثلاثة أن يهووا علي الفتاة فى ضربة واحدة ، وهي ترفع ذراعها تستغيث منهم ....